العلاقة بين النمو المعرفي والأحكام الأخلاقية لدى عيّنة من الأطفال الأردنيين.

محيي الدين توق*
و
سعادات أرناؤوط**

* دكتوراه علم النفس التربوى ــ الولايات المتحدة الأمريكية .
عميد كلية التربية ــ جامعة الامارات العربية المتحدة .
** ماجستير علم النفس التربوى ــ الجامعة الأردنية .

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى الارتباط بين مستويات النمو المعرفي ومستويات النمو الخلقي عند عينّة من الأطفال الأردنيين . واستخدمت في هذه الدراسة ستة اختبارات شبيهة بتلك التي طوّرها بياجيه ؛ ثلاثة منها لتحديد أفراد العينة ممن هم في مرحلة ما قبل العمليات ومرحلة العمليات المادية ، والثلاثة الباقية لتحديد الأفراد من مرحلة العمليات المجردة . وبعد تطبيق هذه الاختبارات حدد عدد أفراد عينة الدراسة بـ (٤٨) طفلا يتوزعون على المراحل الثلاث بواقع ١٦ (٨ ذكور ، ٨ إناث) لكل مرحلة ، من أصل عينة عشوائية مكونة من (٨٧) طفلا موزعين حسب الفئات العمرية (٥ ــ ٦ ، ٩ ــ ١٠ ، ١٤ ــ ١٥) سنة .

طبق على أفراد العينة مقياس كولبرج المعرّب لمعرفة توزعهم على المراحل الخلقية الست بناء على أحكامهم وتبريراتهم لهذه الأحكام الخلقية من خلال الإجابة على الأسئلة الأربعة والعشرين التي تلي مواقف كولبرج الثلاثة .

وللتعرف على معامل الارتباط بين مستوى النمو المعرفي والنمو الخلقي أعطيت المراحل المعرفية الثلاث : مرحلة ما قبل العمليات ، ومرحلة العمليات المادية ، ومرحلة العمليات المجردة درجات (١ ، ٢ ، ٣) حسب الترتيب ، واستخرج معامل الارتباط بينها وبين علامات الأفراد على مقياس كولبرج ، حيث كان معامل الارتباط مساويا لـ (٠ر٧٣٨) وذا دلالة بمستوى (٠ر٠٠٥) .

ولمعرفة الفروق في توزع الذكور والإناث على المراحل الخلقية استخدم الاحصائي (ز) لدلالة الفرق في النسب المئوية لتوزيع الجنسين ، ولم تظهر أية فروق ذات دلالة إحصائية إلا في المرحلة الثالثة حيث تفوّق الذكور على الإناث .

كما استخدم تحليل التباين (٢×٣) لمعرفة أثر المراحل المعرفية والجنس على نمو الاحكام الخلقية . وقد أشارت النتائج إلى وجود فرق ذي دلالة إحصائية على مستوى ٠ر١ للمرحلة المعرفية ، في حين أن النتائج لم تشر إلى وجود فرق ذي دلالة إحصائية يعزى إلى متغير الجنس .

وللتعرف على أكثر المهمات المستخدمة في اختبارات بياجيه ارتباطا مع النمو الخلقي أعطيت رتب الإجابة على كل اختبار الدرجات (٣ ، ٢ ، ١) ، وحسب معامل الارتباط بين علامات الأفراد على مقياس كولبرج ودرجاتهم على اختبارات بياجيه ، وتراوحت معاملات الارتباط ما بين (٠ر٢٠ ــ ٠ر٧٣) .

مقدمـــة :

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مدى العلاقة بين النمو المعرفي للفرد مقاسا باختبارات شبيهة بتلك التي طورّها بياجيه ، واستخدمها في تطوير نظريته عن النمو المعرفي وأحكامه الخلقية مقاسة بصورة معربة لاختبار كولبرج لتطور الأحكام الخلقية .

يعتبر النمو الخلقي أحد أهم مظاهر النمو الاجتماعي ونمو الشخصية عند الفرد ، كما تعتبر التربية الخلقية أحد أهم العناصر التي يجب أن تهتم بها المدرسة والبيت ، ومن أجل ذلك حظي النمو الخلقي والتربية الخلقية باهتمام المربين وعلماء النفس على حد سواء ، كما كثرت الأبحاث والدراسات حولهما في السنوات الأخيرة . ويشير مصطلح النمو Development في المفهوم النفسي إلى التغيرات التي تحدث للفرد مع مرور الزمن ، خلال نموه من مرحلة الرضاعة إلى مرحلة الطفولة فالمراهقة وحتى سن الرشد ، وتشمل التغيرات الجسمية والحسية والحركية والعقلية والانفعالية والاجتماعية والخلقية . ومن هذا المنظور يشير النمو المعرفي إلى التغيرات التي تطرأ على تفكير الطفل وطرق تعرفه على العالم الخارجي ، ويشير النمو الخلقي إلى تغير أحكامه الخلقية عبر الزمن .

تعمل الأخلاق على تنظيم علاقات أفراد المجتمع فيما بينهم ، لذا فهي عنصر أساسي لوجود المجتمع . ويشير مصطلح الأخلاق السيكولوجي في الآداب إلى ثلاثة معانٍ رئيسية :

١ ــ يستعمل مصطلح الأخلاق للإشارة إلى مقاومة الإغراء ، أو للحد من السلوك الخاطىء الذي يؤدي إلى إشباع حاجة أو تحقيق فائدة لدى الفرد ، ومن هذا المنظور فالشخص اللاأخلاقي هو الذي لا يكبح دوافعه ، ولكنه يسعى لإرضاء رغباته بشكل فوري ومباشر . وقد يمتنع الشخص عن سلوك غير مقبول اجتماعيا خوفا من العواقب ، وفي هذه الحالة فإن اعتبار السلوك أخلاقياً أو غير أخلاقي يعتمد على المحددات الداخلية للمجتمع لما هو صحيح وما هو خطأ أو لما هو مقبول أو غير مقبول . (Graham, 1972: 12) .

٢ ــ وقد يشير مصطلح الأخلاق أيضاً إلى المعايير الذاتية لدى الفرد ، والتي تعتبر ضابطاً لسلوكه ، حيث تؤدي دور السلطة في تحديد سلوكه وأحكامه الخلقية حتى في حال غياب السلطة الخارجية ، وبغض النظر عن نتائج سلوكه . ومن هذا المنظور فإن دوافع واهتمامات الفرد تلعب دورا مهما في اختيار تصرفاته ، حيث يحظر على نفسه أعمالا ويبيح أخرى . وتمثل هذه المحللات والمحرمات الذاتية قبولًا طبيعياً عند الفرد لسلطة خارجية دون أن يفهم بالضرورة المنطق والأسباب وراء هذا التقبل . وفي هذه الحالة لا يعتبر إحجام الفرد عن بعض السلوك بدافع الخوف من النتائج سلوكا أخلاقيا . (Graham, 1972: 12) .

٣ ــ كما يشير مصطلح الأخلاق إلى السلوك الذي يقوم به الفرد معتمدا في الأساس على الأحكام

والمبادىء التي يتقبلها عقلياً ومنطقياً ، بمعنى أن أسباب تقبله لهذه المبادىء يعتمد على فهمه لها بحيث تصبح مرشداً له في سلوكه . ومن هذا المنظور يعتبر السلوك الأخلاقي هو السلوك الذي يكون نتاجاً للقرارات الأخلاقية والتي تتضمن بحد ذاتها حكما أخلاقيا لعمل ما هو صحيح . والاعتبار الرئيسي لهذه الأحكام ، هو القاعدة الذهبية التي تقول ، بأن على الفرد أن يأخذ بعين الاعتبار جميع حقوق الآخرين وأن لا يعطي لنفسه حقاً وامتيازاً لا يمنحه للآخرين لمجرد شعوره بالرضى . ويؤكد هذا المنظور أن الفرد القادر على الوصول إلى هذا المستوى الخلقي العالي لا بدّ وأن يتمتع بقدرة عقلية كافية ليفهم طبيعة القوانين والمبادىء الأخلاقية ، ويملك القدرة على تحليل المشاكل وأبعادها في ضوء هذه القوانين والمبادىء . كما يكون قادرا على أن يقرر كيف يطبقها بالشكل الصحيح (Graham, 1972: 12) ومن هذا نرى أن هناك فرضاً أساسياً متضمنا في هذا التحليل ، ألا وهو وجود علاقة أساسية بين النمو الخلقي ونمو التفكير ، وأنه كلما نما الفرد معرفياً نما خلقيا . إن هذا الافتراض هو المنطلق الرئيسي لهذه الدراسة .

نظريات النمو الخلقي :

تتضمن هذ الدراسة مظهرا نمائيا واضحاً يتمثل في تغير أشكال التفكير لدى الأفراد وعلاقة ذلك بتغير أحكامهم الخلقية ، ولذا فإن من المفيد الحديث بشكل عابر عن نمو هذين المظهرين ـــ المعرفي والخلقي ـــ لدى الفرد وخاصة من وجهة نظر المعرفيين الذين يشكل عملهم الأساس والمنطلق لهذه الدراسة .

يمكن إجمال الحديث حول النمو الخلقي في ثلاث نظريات أساسية تعتمد في أساسها على نظريات فلسفية :

النظرية الاولى :ـــ وتمثلها المدرسة التحليلية ، وتنطلق من النظرة الفلسفية القائلة بأن الإنسان شرير في الأساس . وتعتمد هذه النظرية في أساسها على مفهوم اللذة كدافع لزيادة المتعة والإرضاء عن طريق تخفيض التوتر المرتبط بالمثير الداخلي كالحاجة والغريزة . ويصور فرويد الطفل الصغير كحزمة دوافع ، على الكبار توجيهها لتحقيق أهداف اجتماعية . بمعنى أن الطفل ينمو خلقيا من خلال تقمصه لسلوك وقوانين والديه والتي تمثل قوانين وأحكام المجتمع (Hoffman, 1970 :262) ولا تدعم هذه النظرية أية دراسات تجريبية (Wright, 1971 :19)

النظرية الثانية : ـــ هي نظرية التعلم ، وتنطلق من الاتجاه الفلسفي الذى لا يعتبر الطفل خيرًا أو شريرا ، لكنه قابل للتعديل عن طريق التعلم ، وأن النمو الخلقي للفرد يحدث أيضا عن طريق التعلم ويخضع لقوانينه ، خاصة الثواب والعقاب (Wright, 1971 :19)

أما النظرية الثالثة :ـــ فتنطلق من الفلسفة القائلة بأن الطفل خيرّ ونقي ، ويمثله روسو قديما وأصحاب النظرية المعرفية حديثاً ، خاصة بياجيه ، الذى يقول بأن العلاقة بين الصغير والكبير هي نتاج طبيعي للأخذ والعطاء الذى يحدث أثناء التفاعل الاجتماعي ، ويكون نتاجها النضج الخلقي . بمعنى أنه كلما زاد الفرد معرفة كلما نما خلقيا . والنظرية المعرفية تربط بين البناء الفكرى وبين المفاهيم الخلقية للأفراد في المستويات العمرية المختلفة (Hoffman, 1970 :262) . بمعنى أن النمو الخلقي يتكون من سلسلة من المراحل تشبه مراحل النمو المعرفي . وقد تحدث بياجيه عن مستويين من مستويات الحكم الخلقي هما ، المستوى الواقعي حيث يعتمد الطفل في تقييمه للموقف على ما حدث في الواقع ، حيث يعتبر الذنب بمقدار كمية الضرر الناتجة بغض النظر عن النية أو القصد . فذنب طفل يكسر كوبا بقصد العبث والتخريب يكون أقل من ذنب طفل يكسر خمسة أكواب بدون قصد أو وهو يحاول مساعدة أمه . فالقصد والنية لا يلعبان دورا في حكمه . أما في المستوى النسبي فيصبح المبدأ والقصد مهمان في أحكام الفرد على سلوك الأفراد الآخرين بحيث يصبح قادرا على استعمال المفاهيم المادية والمجردة . من هنا نرى تأكيد بياجيه على أهمية النمو المعرفي في مستوى الحكم الخلقي (White-hurst & Vasta, 1977 :336 -372)

وقد طور كولبرج نظرية في النمو الخلقي كانت امتداداً وتطوراً لنظرية بياجيه إلا انها كانت أكثر منها شمولا . ويعتقد كولبرج بأن الانتقال من مرحلة خلقية إلى أخرى هو نتاج طبيعي لنمو الفرد معرفيا ، حيث ان نظريته بنيت في أساسها على مراحل النمو المعرفي التي تحدث عنها بياجه (Hilgard, 1975 :67-98).

ومن وجهة النظر المعرفية يعتبر النمو الخلقي جزءاً من عملية النضج ضمن إطار خبرة العمر العامة . والنمو الخلقي يرتبط بسلسلة من المراحل شبيهة بمراحل النمو المعرفي للفرد . وقد تمكن كل من بياجيه وكولبرج من تحديد مستويات للسلوك الخلقي يتلو بعضها بعضا ، بحيث لا يصل الطفل إلى مستوى ما من تلك المستويات حتى يكون قد مارس فعلا المستوى الذى قبله . ولا يعود الفرد لمرحلة سابقة بل يتقدم لمستويات ومراحل لاحقة (توق ، ١٩٨٠ : ٢٤٠ ـــ ٥٥)

ولقد اعتمدت دراسة بياجيه لنمو الأحكام الخلقية على ملاحظة الأطفال وهم يلعبون . إن الأخلاق عند بياجيه ، هي الميل لقبول منظومة قوانين تنظم سلوك الفرد ، واتبّاع هذه القوانين . ففي المجتمع نظم ومعايير تحكم تعامل الفرد مع الآخرين ، وتصرفه إزاء الملكية . ويقول بياجيه بأن نظرة الطفل للعالم والأخلاقيات تمر عبر مراحل هي :ـــ

١ـــ مرحلة التمركز حول الذات Egocentrism ـــ وتمتد من الولادة وحتى سن الرابعة ، ويعتقد الطفل خلالها أن نظرته للأشياء تنطبق على الجميع ولا يستطيع أن يدرك أن هناك وجهة نظر تختلف عن وجهة نظره .

٢ـــ مرحلة السلطة Authoritarianism ـــ وتمتد من سن الرابعة حتى الحادية عشرة . في هذه

المرحلة تحدد مصادر السلطة القوانين والقواعد الأخلاقية ، وعلى الطفل اتباع هذه القوانين . وفي هذه المرحلة يتمثل الطفل تماماً أوامر ونواهي والديه .

٣ــ مرحلة القوانين المشتقة إجماعيا Consensus Derived ــ وتمتد من سن الحادية عشرة فما فوق . وفي هذه المرحلة تتكون القواعد والقوانين الأخلاقية ، وتشتق من مصادر مختلفة (Sund, 1976: 101 -162)

موقف كولبرج من النمو الخلقي :ــ

يفترض كل من بياجيه سنة ١٩٣٢ وكولبرج سنة ١٩٦٩ أن التطور الخلقي يعتمد أساسا على التطور المعرفي ، وبأن مستوى معرفياً معينا يوازي نمواً أخلاقيا محدداً (Keasey, 1975: 30-38) ومن خلال اهتمام لورنس كولبرج بنظرية بياجيه الأخلاقية قام بعدة دراسات وأبحاث في دول وحضارات مختلفة ، وطور نظرية أكثر شمولا وتطوراً للنمو الخلقي تُبنى في أساسها على مراحل التطور المعرفي عند بياجيه ، وتمكن من أن يضمن في نظريته مفاهيم المراحل الثمانية المتسلسلة من جهة ، ومفاهيم الصراع وعدم الاتزان من جهة ثانية كشروط مسبقة للنّمو اللّاحق (توق ، ١٩٨٠) وقد اهتم كولبرج بمستوى نمو الأحكام والمفاهيم الخلقية للطفل عن طريق تقدير إجاباته على مواقف اشكالية تولد لديه صراعات . وتمكن كولبرج من تصنيف الأحكام الخلقية إلى ثلاثة مستويات يحتوي كل مستوى على مرحلتين وهذه المستويات والمراحل هي : (Koglberg, 1963, 1969: 93-120) .

أ) المستوى ما قبل التقليدي Preconventional Level وفي هذا المستوى يستجيب الطفل لقواعد عامة مثل جيد وسيء ، صح وخطأ ، والتي غالبا ما تتبع بالثواب أو العقاب . فالطفل لا يحترم القوانين المفروضة من مصادر السلطة لكنه يتبعها تحسبا لما ترتبط به من عقاب أو أذى حسي ويتكون هذا المستوى من مرحلتين هما :ــ

١ ــ مرحلة العقاب ويدل عليه سلوك الطفل باطاعة القانون ليتجنب العقاب .

٢ ــ مرحلة الهيدونية الوسيلية ويدل عليها خضوع الطفل للحصول على الثواب ، وتتسم فيها العلاقات الانسانية بالأخذ والعطاء .

ب) المستوى التقليدي Conventional Level وفي هذا المستوى يصبح لتوقعات أسرة الفرد أو رفاقه ومجتمعه أهمية في تقدير صلاحية الفعل بغض النظر عن النتائج الواضحة المباشرة . وهنا يسود الاتجاه الذي يركز على التنظيم الجماعي والإخلاص له ودعمه .

ويتكون هذا المستوى من مرحلتين هما :ــ

٣ ــ مرحلة أخلاقية الولد الطيب التي تهدف إلى الحفاظ على علاقات طيبة والحصول على رضى الآخرين ، ويدل عليه خضوع الطفل لتجنب عدم الرضى وعدم ميل الآخرين له .

٤ ــ مرحلة أخلاقية إرضاء السلطة ، ويدل عليها خضوع الطفل لتجنب نقمة السلطة الشرعية وما يترتب عليها من شعور بالذنب .

جـ) المستوى ما بعد التقليدي (Fostconventional level) ويشير إلى أخلاقية المبادىء المقبولة ذاتيا ، وفي هذا المستوى تكون المحددات والمفاهيم الشخصية للقيم الأخلاقية واضحة ، فالفرد يفرق ويميز بين المبادىء والالتزامات ، وبين الجماعات والأشخاص ومراكز السلطة .

ويتكون هذا المستوى من مرحلتين هما :ــ

٥ ــ أخلاقية الاتفاقيات والحقوق الفردية والقانون المقبول ديمقراطياً ويدل عليه خضوع الفرد ليحافظ على احترام المشاهد الحيادي الذي يحكم بناء على رضا المجتمع ومصلحته .

٦ ــ مرحلة أخلاقية المبادىء الذاتية والضمير ويدل عليه خضوع الفرد ليتجنب احتقار ذاته . (عدس ، توق ، ١٩٨١ : ١٠٥) وتعتبر هذه المراحل مراحل متعاقبه تُبنى على بعضها البعض ، حيث أن هناك نظاماً مختلفاً في كل مرحلة ، كما تحوي المرحلة المتقدمة ما سبقها من مراحل ، وتشتمل على عمليات عقلية أعقد وأعلى من المرحلة التي تسبقها . ولقد دعمت دراسة توريل سنة ١٩٦٦ ــ Turiel ــ نظرية المراحل الخلقية لكولبرج ، وأوضحت أن من الصعب على الطفل أن يعود لمرحلة سابقة في حين أن من السهل عليه التقدم إلى مرحلة واحدة تليها (Turiel, 1966: 611-618) .

الدراسات السابقة :ــ

أجريت حول موضوع العلاقة بين النمو المعرفي ومستوى الأحكام الخلقية مجموعة من الدراسات . ومن الدراسات التي اهتمت بمعرفة العلاقة بين النمو المعرفي والنمو الخلقي دراسة كوهان ١٩٧٧ Kuhan على مجموعة من الأفراد تتوزع أعمارهم على النحو التالي ، ١٠ ــ ١٥ ، ١٦ ــ ٢٠ ، ٢٠ ــ ٣٠ سنة ، وقد كان معامل الارتباط بين نجاح الأفراد على مهمات بياجيه لمرحلة العمليات المجردة وبين أحكامهم الخلقية على مقياس كولبرج ٢٨ر٥٠ ويعزو كوهان انخفاض معامل الارتباط إلى اتساع المدى العمري (١٠ ــ ٣٠ سنة) في عينة الدراسة . وأشارت دراسة كوهان إلى أن نجاح الأفراد على مهمات بياجيه لمرحلة العمليات المجردة متطلب ضروري لوصولهم إلى المرحلة الخامسة والسادسة من مراحل النمو الخلقي كما يفصح عنها مقياس كولبرج . (Kuhan, 1977: 97-138) .

وكذلك أظهرت دراسة لي ١٩٧١ Lee على عينة يتراوح أعمار أفرادها من ٥ ــ ١٧ سنة وجود علاقة بين مراحل بياجيه المعرفية وبين مراحل الأحكام الخلقية على مقياس كولبرج حيث كان معامل الارتباط إيجابيا ويتراوح من ٢٦ر٠ إلى ٧ر٠ بمتوسط مقداره ٤٩ر٠ وتعزو لي أيضا

سبب انخفاض معامل الارتباط إلى اتساع المدى العمري لأفراد عينة الدراسة . (Lee, 1971: 93-146) .

أما دراسة تملنسون وكيسي (Tomlinson - Keasey and Keasey, 1974) فقد اختبرت العلاقة بين النمو المعرفي والنمو الخلقي في عمرين محددين هما ١٢ و ١٩ سنة ، وكان أفراد العينة من الإناث من طلبة المدارس الثانوية والكليات . وأظهرت نتائج هذه الدراسة أن هناك مؤشراً واضحا على وجود علاقة بين النمو المعرفي والنمو الخلقي (معامل ارتباط ٠ر٥٨ و ٠ر٦٠) وأن هذه العلاقة مستقلة عن عامل العمر ، أي أن المستوى المعرفي للفرد بغض النظر عن عمره هو الذي يرتبط بمستوى الأحكام الخلقية (Tomlinson - Keasey & Keasey, 1974: 291-298) .

أما دراسة لينج فورد ــ وجورج (Leang-Ford and George, 1973) فقد استهدفت قياس النمو الخلقي والعقلي عند المراهقين باستخدام مهمات بياجيه للأجسام الطافية ومقياس كولبرج ، وأظهرت نتائج هذه الدراسة وجود علاقة بين مستويات الحكم الخلقي والتفكير المنطقي . وقد تراوحت أعمار أفراد هذه الدراسة من ١٢ ــ ١٥ سنة . (Whitehurst & Vasta, 1977: 336-372) .

وتشير دراسة كيسي ووستن (Keasey & Weston, 1973) إلى عينة عدد أفرادها ٢٠ نصفهم إناث ونصفهم ذكور ، حددت أعمارهم من سن ٧ و ٩ سنوات ، تم اختيارهم على مهمات بياجيه (اختبار التصنيف ، اختبار الاحتفاظ ، اختبار الوزن ، اختبار الحجم) ، ووجد أن ١٥ من أفراد العينة الذين اعتبروا من مرحلة العمليات المادية توزعوا في المرحلة الخلقية الثانية ، وأن طفلين في سن السابعة وطفلًا واحداً في سن التاسعة اعتبروا في مرحلة العمليات المادية ، إلا أن تصنيفهم كان في المرحلة الخلقية الأولى . وتشير هذه الدراسة إشارة واضحة إلى أن أطفال مرحلة العمليات المادية يتوزعون على المستوى الأول وخاصة المرحلة الثانية من مراحل النمو الخلقي عند كولبرج . (Keasey, 1973: 30-38) .

وفي دراسة توريل (Turiel, 1978) التي استخدم فيها مقياس كولبرج المعدل للبيئة التركية على عينات من فئات عمرية ، ١٠ ــ ١١ ، ١٢ ــ ١٣ ، ١٤ ــ ١٥ ، ١٦ ــ ١٧ ، ١٨ ــ ٢٥ سنة للتأكد من نسق النمو الأخلاقي الذي أشار إليه كولبرج وعلاقة هذا التطور بالمستوى الاجتماعي الاقتصادي ، توصل توريل إلى أن الحكم الخلقي تطوري ، فكلما تقدم الفرد بالعمر كلما قل وجوده في المراحل الدنيا حسب تصنيف كولبرج . (Walker & Richards 1979: 95-101) .

أما دراسة لورنس واكر وبويد رتشردز (Walker & Richards, 1979: 95-102) بعنوان النمو المعرفي كعامل مؤثر في الانتقال من مرحلة خلقية إلى أخرى ــ فقد اهتمت بالعلاقة بين المستوى الأخلاقي التقليدي ومرحلة العمليات المجردة ، وأكدت الفرضية القائلة بأن أفراد المرحلة الخلقية

الثالثة ، والذين يصنفون على أنهم فعلا في مرحلة العمليات المجردة ، ينتقلون إلى المرحلة الخلقية الرابعة أكثر من أولئك الذين يصنفون في بداية مرحلة العمليات المجردة ، وتنقصهم المتطلبات المعرفية للانتقال إلى المرحلة الخلقية الرابعة . وقد تكونت العينة من ٢١٦ أنثى تراوحت أعمارهن بين $\frac{\text{شهر}}{١٠} \frac{\text{سنة}}{١٤}$ و $\frac{\text{شهر}}{٩} \frac{\text{سنة}}{٢١}$ من طالبات المدرسة الثانوية . وتكونت المجموعة التجريبية من ٤٤ أنثى متوسط أعمارهن $\frac{\text{شهر}}{٧} \frac{\text{سنة}}{١٦}$ ، وقبل اختيارهن أجريت عليهن اختبارات للتأكد من أنهن في المرحلة الخلقية الثالثة . وطبقت عليهن اختبارات بياجيه للتأكد فيما إذا كنّ فعلا في مرحلة العمليات المجردة أو في بدايتها . ثم خضعت هذه المجموعة التجريبية لمعالجة عن طريق تمثيل الأدوار مع التركيز على تبريرات المرحلة الرابعة . بعد ذلك طبق على جميع أفراد العينة اختبار نهائي فكانت النتيجة أن النمو المعرفي متغير ضروري ومؤثر مهم في النمو الخلقي ، وأن كون الفرد فعليا في المرحلة المجردة ضروري لوصوله إلى المرحلة الخلقية الرابعة .

أما الدراسة الطولية لتشارلز وايت ونانسي باشنل (White & Bushnell, 1978: 58-65) التي أجريت على أطفال من جزر البهاما فقد أكدت أن مراحل كولبرج مراحل عالمية ، وأن الحكم الخلقي للأفراد ينمو بتقدم أعمارهم ، حيث تشير النتائج إلى نمو عام للمراحل الخلقية للأعلى ، وأن الجنس عامل ليس ذا دلالة في نمو الأحكام الخلقية . وتكونت العينة من ٤٢٦ طفلا من الذكور والإناث تراوحت أعمارهم من ٨ ــ ١٧ سنة ، وامتدت فترة الدراسة إلى ثلاث سنوات . وكان معظم أفراد العينة من بيئات فقيرة ماديا وثقافيا مقارنة مع بيئة الولايات المتحدة ، وتشير نتائج الدراسة إلى أنه كلما تقدم العمر بالأفراد كلما قل احتمال توزعهم في المرحلة الأولى ، وزاد توزعهم في المراحل الأعلى (في هذه الدراسة توزع الأفراد في المرحلة الثانية والثالثة) .

أما الدراسة الأردنية التي قامت بها أمية بدران سنة ١٩٨١ باستخدام أفراد من أعمار ١٣ ــ ١٤ سنة و ١٧ ــ ١٨ سنة لمعرفة طبيعة توزيع الأفراد على مراحل مقياس كولبرج ، فقد أظهرت نتائجها أن توزيع الطلبة ، الأصغر سناً على هذا المقياس يتركز على المرحلة الثانية والثالثة من مراحل النمو الخلقي كما يحددها كولبرج في مقياسه . أما توزيع الطلبة الأكبر سنا فتركز على المراحل الثانية والثالثة والرابعة والخامسة على نفس المقياس . مما يدل على أن الأفراد ينمون في تفكيرهم الخلقي تبعاً لتقدمهم في العمر ، وبما أن النمو المعرفي عند بياجيه يرتبط بالعمر ، فإن من الممكن أن تستنتج أن التقدم في النمو الخلقي بالتالي يرتبط بالتقدم في النمو المعرفي .

مما تقدم يمكن صياغة مشكلة الدراسة على النحو التالي :ــ

« ما العلاقة بين مستوى النمو المعرفي مقاساً باختبارات شبيهة باختبارات بياجية ، ومستوى أحكامه الخلقية مقاساً بصورة مقربة لمقياس كولبرج للنمو الخلقي ؟ » .

أما الأسئلة المحددة التي ستحاول هذه الدراسة الإجابة عليها فهي :—

١ ــ هل يوجد أثر ذو دلالة لمستوى النمو المعرفي على مستوى النمو الخلقي ؟
٢ ــ هل هناك أي تأثير للجنس على توزيع أفراد الدراسة على مقياس كولبرج ؟
٣ ــ هل هناك مهمات معرفية معينة ، كما يحددها بياجيه ، ترتبط ارتباطاً أكثر دلالة من غيرها مع مستوى الأحكام الخلقية ؟

الطريقـــــة

أفراد الدراسة :—

استخدم في هذه الدراسة ٤٨ فردا (٢٤ ذكورا ، ٢٤ إناثا) وقد تم توزيعهم على ثلاث مجموعات بلغ عدد أفراد كل مجموعة ١٦ فردا (٨ ذكور ، ٨ إناث) تراوحت أعمار المجموعة الأولى من ٥ ــ ٦ سنوات ، ومثلت في نموها المعرفي أطفال مرحلة ما قبل العمليات ، وتراوحت أعمار المجموعة الثانية من ٩ ــ ١٠ سنوات ومثلت في نموها المعرفي أطفال مرحلة العمليات المادية . وتراوحت أعمار المجموعة الثالثة من ١٤ ــ ١٥ سنة ومثلت في نموها المعرفي أطفال العمليات المجردة ، وقد تم اختيار جميع أفراد هذه الدراسة من مدارس عمان وبمراعاة التوزيع الجغرافي لهذه المدارس لتغطي معظم مناطق عمّان .

الأدوات والاختبارات :—

تكونت الاختبارات التي استخدمت لتحديد مستوى النمو المعرفي لدى أفراد هذه الدراسة من ستة اختبارات هي : اختبار كرات المعجون ، واختبار كمية السائل ، واختبار الفناجين ، واختبار البندول ، واختبار انحناء القضبان ، واختبار الإزاحة ، وهي اختبارات شبيهة بتلك التي طورّها بياجيه . بمعنى أن الباحثين اعتمدا نفس المبدأ العلمي الذي اعتمده بياجيه ، وتقيس نفس المهمة ، إلا أن الأدوات كانت في تصميمها مختلفة ، وذلك لعدم توفر الأجهزة الأساسية مثل البندول ، أو تم تغيير الأجهزة لتسهيل حملها ونقلها ، كما هو الحال في اختبار القضبان .

استخدم الاختبار الأول والثاني والثالث لتحديد أفراد مرحلتي ما قبل العمليات والعمليات المادية ، واستخدمت الاختبارات الرابع والخامس والسادس لتحديد أفراد مرحلة العمليات المجردة .

تكون الاختبار الأول من كرتين من المعجون متساويتي الوزن واللون وكان المطلوب من المفحوص التأكد من تساوي الوزن أو اختلافه في حالة تغير شكل إحدى الكرتين .

أما الاختبار الثاني فتكون من ستة فناجين وستة صحون من فناجين وصحون القهوة العادية ، وكان المطلوب من المفحوص معرفة تساوي العدد أو اختلافه في حالة ترتيب الصحون والفناجين بطرق مختلفة .

أما الاختبار الثالث فتكون من دورقين كبيرين وأنبوب طويل رفيع مغلق من أحد الطرفين ، وثلاثة دوارق متساوية الشكل والحجم . وكان المطلوب من المفحوص التأكد من تساوي أو اختلاف كمية السائل بتغير شكل الوعاء الذي يوضع فيه .

أما الاختبار الرابع فتكون من جهاز رقاص الساعة والذي يمكّن المفحوص من تغيير طول الذراع وعدد من الأوزان لزيادة وزن القرص ، وكان المطلوب من المفحوص معرفة العامل الذي يؤثر على سرعة حركة الرقاص .

أما الاختبار الخامس فتكون من عدد من القضبان من مواد مختلفة وأطوال وأشكال وأقطار مختلفة ، وجهاز لقياس ميل هذه القضبان ، وطلب من المفحوص معرفة العامل أو العوامل التي تؤثر على مقدار انحناء (ميل) القضبان .

أما الاختبار السادس فتكون من وعاء به ماء وقطعتان من الخشب متماثلتان في الوزن والحجم والشكل واللون مثبت عليهما ثقلان متساويان يدلى أحدهما في الماء بشكل أفقي ويدلي الآخر بشكل عمودي ، والمطلوب من المفحوص مقارنة كمية الماء المزاح مع إعطاء التفسير الصحيح عند وضع قطعتي الخشب كل على حده في الوعاء .

وكذلك استخدم اختبار كولبرج المعرب لقياس الأحكام الخلقية ، ويحتوي على ثلاثة مواقف ، كل موقف منها يمثل مشكلة أخلاقية ، ويتبع كل موقف عدد من الأسئلة ؛ فالموقف الأول يتبعه سبعة أسئلة ، والثاني يعقبه عشرة أسئلة والثالث يعقبه سبعة أسئلة ، بحيث يصبح مجموع الأسئلة التي تلي المواقف الثلاثة أربعة وعشرين سؤالا ، وعلى المفحوص أن يجيب على صحة الموقف الأخلاقي أو خطئه ، كما يطلب منه إعطاء تبريرات يستند إليها في أحكامه الخلقية . وقد تناولت هذه المواقف موضوعات العقاب والملكية والحياة والحرية والحق والقانون والواجب والسلطة .

الإجراءات :ـ

قبل البدء بالتطبيق تم تدريب الفاحصين على كيفية تطبيق اختبارات بياجيه ورصد اجابات المفحوصين وتفسيرها ، وكذلك الحال بالنسبة لمقياس كولبرج ، ثم اختيرت عينة عشوائية من (٨٧) فرداً من الأطفال في بعض مدارس عمّان التي اختيرت بحيث تمثل مناطق عمان المختلفة ممن تتراوح أعمارهم من ٥ ــ ٦ سنوات و ٩ ــ ١٠ سنوات و ١٤ ــ ١٥ سنة . وطبقت

على كل فرد من أفراد هذه العينة اختبارات بياجيه المناسبة لمرحلته المعرفية تطبيقا فرديا لتحديد مستوى نموه المعرفي ، حيث اشترط أن ينجح أفراد هذه الدراسة في اختبارين من الاختبارات الثلاثة في كل مرحلة ليكون الأفراد ممثلين للمراحل المعرفية المشتركة وهي مرحلة ما قبل العمليات ، ومرحلة العمليات المادية ، ومرحلة العمليات المجردة ، وكان يعرض على كل فرد كل اختبار على حده ليتعرف على الأدوات ويألفها .

وقد اشترط في هذه الدراسة أن ينجح كل فرد من أفراد مرحلة العمليات المادية ومرحلة العمليات المجردة في اختبارين من ثلاثة . بمعنى أن يعطي على اختبارين الاجابة الصحيحة والتفسير الصحيح ، بينما اشترط أن لا ينجح الطفل في مرحلة ما قبل العمليات في اختبارين من الاختبارات الثلاثة الخاصة بمرحلته ، بمعنى أن يعطي الاجابة الخاطئة والتفسير الخاطىء ، أو أن يعطي الإجابة الصحيحة والتفسير الخاطىء . لأن طفل هذه المرحلة لا يستوعب ولا يدرك مفهوم الاحتفاظ .

بعد أن تم تحديد أفراد عينة الدراسة البالغ عددهم (٤٨) طفلا من أصل العينة العشوائية الأولى والتي بلغ عدد أفرادها ٨٧ طفلا بناء على نجاحهم في اختبارات بياجيه طبق على أفراد عينة الدراسة مقياس كولبرج المعرب (أمية بدران ، عمر الشيخ ١٩٨١) تطبيقا فرديا ، حيث كان يقرأ كل موقف من المواقف على الطفل ، وبعد التأكد من فهم الطفل للموقف كانت توجه له الأسئلة التي تلي كل موقف ، وكانت تسجل إجابات كل طفل على شريط خاص يحمل اسمه للتأكد من مستوى الأحكام الخلقية لدى كل فرد من أفراد العينة في المراحل الثلاثة ، وبعد ذلك يتم تحديد المستوى الخلقي للطفل بعد الاستماع إلى محتويات الشريط مرة ثانية أو ثالثة حسبما يقتضيه الموقف .

اجراءات التصحيح :—

قسمت الإجابات على اختبارات بياجيه باستثناء اختباري البندول وانحناء القضبان إلى ثلاثة مستويات اعتمادا على الدراسة التي أجرتها هايد سنة ١٩٦٤ . (Hyde, 1964: 83) وهذه المستويات هي :—

أعطي الطفل رتبة أ : إذا أعطي الإجابة الصحيحة والتفسير الصحيح .
أعطي الطفل رتبة ب : إذا أعطي الإجابة الصحيحة والتفسير الخطأ .
أعطي الطفل رتبة جـ : إذا أعطي الإجابة الخطأ والتفسير الخطأ .

أما في اختباري البندول وانحناء القضبان لمرحلة العمليات المجردة فقد احتسبت الرتب على الشكل التالي :—

أعطي الطفل رتبة أ : إذا أعطي الإجابة الصحيحة واستعمل الأسلوب العلمي الصحيح لحل المشكلة .

أعطي الطفل رتبة ب : إذا أعطي الإجابة الصحيحة ولم يستعمل الأسلوب العلمي الصحيح .
أعطي الطفل رتبة جـ : إذا أعطي الإجابة الخطأ واستعمل الأسلوب الخطأ .

وقد اشترط في اختيار أفراد العينة ما يلي :—

أن تتراوح أعمار أفراد مرحلة ما قبل العمليات من ٥ ــ ٦ سنوات وأن يحصل الطفل على رتبة جـ في اختبارين على الأقل من الاختبارات الثلاثة الخاصة بمرحلته ، حيث تمتد هذه المرحلة من سن ٢ ــ ٧ سنوات ولا يكون الطفل فيها قادرا على استيعاب وادراك مفهوم الاحتفاظ والوزن والعدد ، وهذه هي المهمات التي تقيسها الاختبارات الثلاثة الأولى .

واشترط في اختيار أفراد مرحلة العمليات المادية أن تتراوح أعمارهم من ٩ ــ ١٠ سنوات ، وأن يحصل كل طفل على رتبة أ في اختبارين على الأقل من الاختبارات الثلاثة الخاصة بمرحلته ، حيث تمتد هذه المرحلة من سن ٨ ــ ١١ سنة ، ويكون الطفل فيها قادرا على إدراك بعض القوانين وبخاصة الاحتفاظ ، ويدرك مفهوم العدد والكتلة ، وفي حوالي التاسعة يتضح عنده مفهوم الوزن ، لذا وللتأكد من وجود الطفل فعلا في هذه المرحلة ، عليه أن ينجح برتبة أ في اختبارين من أصل ثلاثة .

واشترط في اختيار أفراد العينة من مرحلة العمليات المجردة أن تتراوح أعمارهم من ١٤ ــ ١٥ سنة ، وأن يحصل كل طفل على رتبة أ في اختبارين على الأقل من الاختبارات الثلاثة الخاصة بمرحلة العمليات المجردة التي تبدأ من سن ١٢ سنة . وتتضح برأي بياجيه ، في سن الخامس عشرة ، ويتميز أفرادها بالتفكير الاستدلالي المنطقي المنظم ، والقدرة على التركيز في حل مشاكله على دراسة كل عامل من العوامل المشتركة على حده ، وهذا ، تقيسه الاختبارات الثلاثة الأخيرة (لذا اشترط أن يحصل كل طفل من أفراد العينة في هذه المرحلة على رتبة أ في اختبارين على الأقل للتأكد من أنه فعلا في هذه المرحلة) .

أما تصحيح مقياس كولبرج فقد احتسب بناء على تحديد وتعيين الأساس الأخلاقي الذي اعتمده الفرد في تبريره لحكمه الأخلاقي الذي أصدره على الموقف ، ومقارنة ذلك الأساس بالأساس الأخلاقي المستخرج من الخصائص المعيارية لكل مرحلة من مراحل الحكم الخلقي الستة حسب تصنيف كولبرج ، وأعطي كل فرد رتبة من ١ ــ ٦ على كل سؤال من مجموع الأسئلة الأربعة والعشرين ، ثم حسب مجموع هذه المراحل واستخرج المتوسط الحسابي لها مقربا إلى رقمين عشريين .

وللتأكد من صدق التصحيح والتصنيف على مقياس كولبرج أعطيت إجابات عينة عشوائية مقدارها ٢٠٪ من إجابات الأفراد في المراحل الثلاث إلى محكم آخر ، حيث كان معامل التوافق مساويا ٩٤ر٠ .

النتائـــج

عنيت هذه الدراسة بالتعرف على مدى العلاقة بين النمو المعرفي مقاسا باختبارات شبيهة بتلك التي طوّرها بياجيه ، وبين مستوى الأحكام الخلقية مقاساً باختبار كولبرج المعرب عند عينة من الأطفال الأردنيين . وقد كان السؤال الأول الذي حاولت هذه الدراسة الإجابة عنه هو ، هل يوجد أثر ذو دلالة لمستوى النمو المعرفي على مستوى النمو الخلقي ، كما كان السؤال الثاني هل هناك أي تأثير للجنس على توزيع أفراد الدراسة على مقياس كولبرج ؟

وللإجابة على هذين السؤالين استخرجت متوسطات علامات الأفراد من المستويات المعرفية الثلاث على مقياس كولبرج لنمو الأحكام الخلقية ــ الجدول (١) ثم استخدم اختبار تحليل التباين (٢×٣) لدراسة أثر كل من الجنس والمرحلة المعرفية على مستوى الأحكام الخلقية عند الأطفال ، حيث كان كل من الجنس (ذكر ، أنثى) والمرحلة المعرفية (ما قبل العمليات ، المادية المجردة) العاملين المستقلين ، ومستوى الأحكام الخلقية العامل التابع . ويبين ذلك الجدول (٢) .

جدول (١)

يبين متوسط علامات الأفراد في المراحل المعرفية الثلاث على مقياس كولبرج

المراحل المعرفية	متوسط علامات الذكور	متوسط علامات الإناث	متوسط علامات أفراد المرحلة ذكور + إناث
مرحلة ما قبل العمليات	١ر١٢٦	١ر١٤٦	١ر١٣
مرحلة العمليات المادية	٢ر١٢	١ر٨٠	١ر٩٦
مرحلة العمليات المجردة	٣ر٥٣	٤ر٢٧	٣ر٩٠

جدول (٢)

نتائج تحليل التباين ٢×٣ لعلامات الأفراد على مقياس الأحكام الخلقية

المصـــدر	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	ف	مستـوى الدلالـة
المرحلة المعرفية (A)	٢	٦٤ر٨٣١	٣٢ر٤١٥	١٥٣ر٣٢	٠ر٠١
الجنس (B)	١	٠ر٢٤٢	٠ر٢٤٢	١ر١٤	٠ر٠٥
التفاعل BxA	٢	٢ر٣٥١	١ر١٧٥	٥ر٥٦	٠ر٠١
الخطـأ	٤٢	٨ر٨٨٠	٠ر٢١١		

يبين الجدول (٢) أن للمرحلة المعرفية أثراً ذا دلالة على مستوى النمو الخلقي لأفراد هذه الدراسة (ف = ١٥٣ر٣٢ ≥ ٠ر٠١) أي أن هناك فرقاً واضحاً في مستويات الأحكام الخلقية بين الأفراد في المراحل المعرفية الثلاث . وبالرجوع إلى جدول المتوسطات (١) يتضح أن هذا الفرق لصالح الأفراد في المراحل المعرفية الأعلى بالمقارنة مع الأفراد في المراحل الأدنى ، حيث كان متوسط علامة الأفراد في المرحلة المجردة على مقياس كولبرج (٣ر٩٠) وكان متوسط علامة الأفراد في المرحلة المادية على مقياس كولبرج (١ر٩٦) ، بينما كان متوسط علامة الأفراد في المرحلة ما قبل العمليات على مقياس كولبرج (١ر١٣) .

أما بالنسبة لأثر الجنس على النمو الخلقي فلم تظهر هذه الدراسة فرقا ذا دلالة بين الذكور والإناث ، إذ لم تصل علامة (ف) مستوى الدلالة المطلوب (٠ر٠٥) .

وأما بالنسبة لأثر التفاعل بين عاملي المرحلة المعرفية والجنس فقد كان ذا دلالة ، حيث كانت علامة (ف) = ٥ر٥٦ وهي ذات دلالة بمستوى ٠ر٠١ ، وكما يبين جدول المتوسطات (١) والشكل (١) فقد أظهرت الإناث من أفراد مرحلة العمليات المجردة تفوقاً أكبر في النمو الخلقي بالمقارنة مع الذكور من نفس أفراد المرحلة ، حيث كان متوسط الإناث من أفراد مرحلة العمليات المجردة هو (٤ر٢٧) في حين كان متوسط الذكور في نفس المرحلة (٣ر٥٣) .

ولمزيد من التأكد عن تأثير الجنس على توزيع أفراد الدراسة على مقياس كولبرج استخرجت نسب توزع الذكور والإناث على مراحل كولبرج الست . والجدول (٣) يبين أعداد الأفراد الذين صنفوا في المراحل الست ونسبهم المئوية .

جدول (٣)

يبين أعداد الأفراد الذين صنفوا في المراحل الست ونسبهم المئوية

المرحلة الخلقية	ذكـــور		إنـــاث	
	العـدد	النسبـة	العـدد	النسبـة
لا مرحلـة	—	— —	١	٤ر١٧ ٪
المرحلة الأولى	٨	٣٣ر٣٣ ٪	٧	١٦ر٢٩ ٪
المرحلة الثانية	٧	١٦ر٢٩ ٪	٨	٣٣ر٣٣ ٪
المرحلة الثالثة	٦	٠٠ر٢٥ ٪	١	٤ر١٧ ٪
المرحلة الرابعة	٢	٣٤ر٨ ٪	٦	٠٠ر٢٥ ٪
المرحلة الخامسة	١	٤ر١٧ ٪	١	٤ر١٧ ٪
المرحلة السادسة	—	— —	—	— —

شكل (١)

يبين أثر التفاعل بين عاملي الجنس ومستوى النمو المعرفي

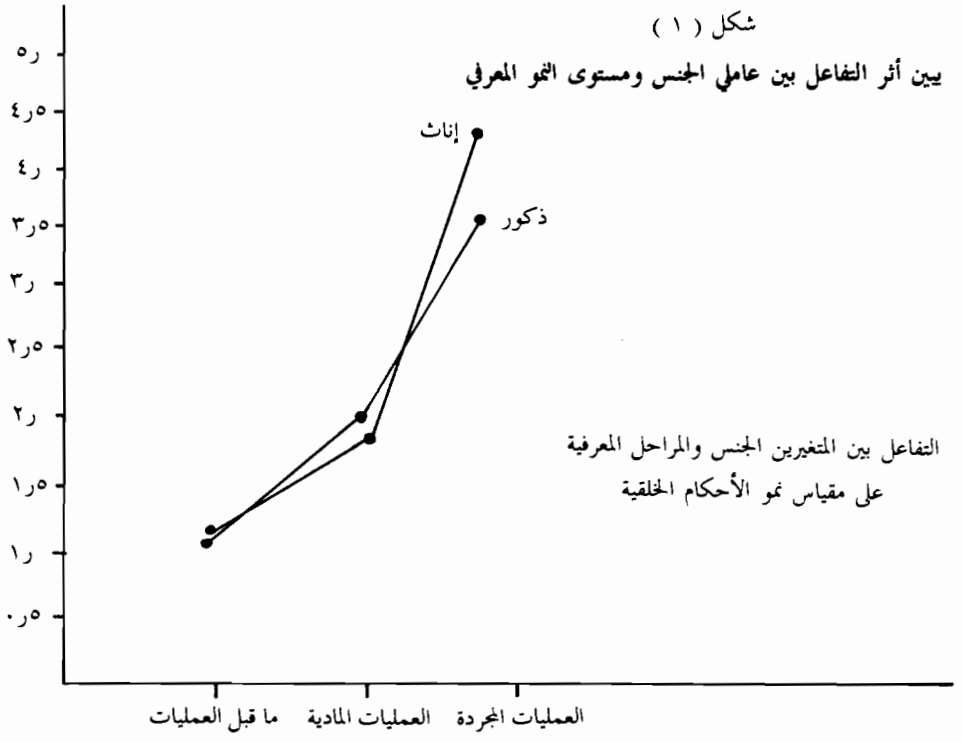

التفاعل بين المتغيرين الجنس والمراحل المعرفية
على مقياس نمو الأحكام الخلقية

ثم استخرجت قيمة إحصائي (ز) لدلالة الفرق بين النسب المئوية ، ويشير الجدول (٤) إلى قيم الإحصائي (ز) لدلالة الفرق بين الذكور والإناث في المراحل الستة على مقياس كولبرج .

الجدول (٤)

قيم الإحصائي (ز) لدلالة الفرق بين نسبتي توزع الذكور والإناث ودلالتها في المراحل الست على مقياس كولبرج

المرحلة الخلقية	العلامـة (ز)	الدلالـة
١	٠ر٣٠	٠ر٠٥ <
٢	٠ر٣٠	٠ر٠٥ <
٣	٢ر٠٧	٠ر٠٥ ⩾
٤	١ر٥٦	٠ر٠٥ <
٥	٠ر٠٠٠	٠ر٠٥ <
٦	—	—

وكما يبين هذا الجدول فإن الفرق الوحيد بين نسب توزع الذكور والإناث يوجد في المرحلة الثالثة ، وهي مرحلة أخلاقية الولد الطيب للحفاظ على علاقات طيبة والحصول على رضى الآخرين ، (وهي المرحلة الأولى من مستوى أخلاقية الخضوع للدور التقليدي) وكما يبين الجدول (٣) فإن هذا الفرق هو لصالح الذكور .

أما السؤال الثالث الذي حاولت هذه الدراسة الإجابة عنه فكان « هل هناك مهمات معرفية معينة ، ترتبط ارتباطاً أكثر دلالة من غيرها مع مستوى الأحكام الخلقية .

وللإجابة على هذا السؤال تم حساب درجات الأفراد على اختبارات بياجيه الستة المستخدمة في هذه الدراسة على النحو التالي : أعطى الأفراد الذين أعطوا الإجابة الصحيحة والتفسير الصحيح بالنسبة لكل اختبار على حدة درجة (٣) أما الأفراد الذين أعطوا الإجابة الصحيحة ولم يتمكنوا من تفسيرها تفسيرا صحيحا فأعطوا درجة (٢) ، أما الأفراد الذين لم يعطوا الإجابة والتفسير الصحيحين فأعطوا درجة (١) .

ولحساب معاملات الارتباط بين درجات الأفراد على اختبارات بياجيه ودرجاتهم على مقياس كولبرج استخدمت معادلة بيرسون سابقة الذكر .

ويبين الجدول (٥) معاملات الارتباط التي تم الحصول عليها .

جدول (٥)

يبين معاملات الارتباط بين درجات الأفراد على اختبارات بياجيه ودرجاتهم على مقياس كولبرج ودلالتها .

اختبارات بياجيه	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
اختبار كرات المعجون	٠ر٣١	≤ ٠ر١٠
اختبار الفناجين	٠ر٧٣	≤ ٠ر٠١
اختبار كمية السائل	٠ر٧٣	≤ ٠ر٠١
اختبار الإزاحة	٠ر٢٨	< ٠ر١٠
اختبار البندول	٠ر٢٧	< ٠ر١٠
اختبار انحناء القضبان	٠ر٢٠	< ١ر١٠

ويشير هذا الجدول إلى أن المهمات المعرفية التي يقيسها اختبار الفناجين ، العدد ، وكمية السائل ترتبط أكثر من غيرها من المهمات التي تقيسها الاختبارات المستخدمة في هذه الدراسة مع المستويات الخلقية التي يقيسها اختبار كولبرج .

المناقشة

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى العلاقة بين النمو المعرفي والنمو الخلقي ، حيث يعتبر أصحاب النظرية المعرفية ؛ خاصة بياجيه ، النمو الخلقي نتاجا طبيعيا للنمو المعرفي ؛ إذ تربط النظرية المعرفية بين البناء الفكري وبين المفاهيم الخلقية للأفراد من مستويات أعمار مختلفة . ولقد اعتمد كولبرج في أبحاثه على دراسات بياجيه ، وكانت امتدادا لها ؛ حيث بنيت في أساسها على مراحل النمو المعرفي . ويفترض كل من بياجيه (١٩٣٢) وكولبرج (١٩٦٩) أن النمو الخلقي يعتمد على النمو المعرفي . هذا ويمكن النظر إلى هذه الدراسة على أنها فحص للمسّلمات الأساسية للنظرية المعرفية من حيث اعتماد النمو الخلقي على النمو المعرفي .

أجريت الدراسة على عينة عدد أفرادها ٤٨ (٢٤ ذكوراً ، ٢٤ إناثاً) يمثل كل ١٦ منهم (٨ ذكور ، ٨ إناث) مرحلة معرفية معينة . توزع أطفال مرحلة ما قبل العمليات على النحو التالي : (١٤) طفلا في المرحلة الأولى ، طفل واحد في المرحلة الثانية ، ولم يتم التمكن من تصنيف طفل

واحد في أي مرحلة ، وكانت نسبة توزع هؤلاء بالنسبة لأطفال هذه المرحلة (٢٥ر٦٪ ، ٥ر٨٧٪ ، ٢٥ر٦٪) على التوالي ، وتوزع أطفال مرحلة العمليات المادية على النحو التالي : طفل واحد في المرحلة الأولى و (١٤) طفلا في المرحلة الثانية و طفل واحد في المرحلة الثالثة . وكانت نسبة هؤلاء بالنسبة لأطفال هذه المرحلة (٢٥ر٦٪ ، ٥ر٧٨٪ ، و ٢٥ر٦٪) على التوالي . وتوزع أفراد العمليات المجردة على النحو التالي : (٦) أطفال في المرحلة الثالثة ، (٨) أطفال في المرحلة الرابعة ، طفلان في المرحلة الخامسة . وكانت نسبة توزع هؤلاء بالنسبة لأطفال هذه المرحلة على التوالي(٥ر٣٧٪ ، ٥٠٪ ، ٥ر١٢٪) .

أما توزع أفراد العينة بشكل عام ونسبهم على مراحل كولبرج الست فكان على النحو التالي : لا مرحلة (١) أي (٠٨ر٢٪ ، (١٥) في المرحلة الثانية أي (٢٥ر٣١٪) و (١٥) في المرحلة الثالثة أي (٢٥ر٣١٪) و (٨) في المرحلة الرابعة أي (٦٦ر٦٪) و (٢) في المرحلة الخامسة أي (١٦ر٤٪) ولا أحد في المرحلة السادسة .

ويتفق هذا التوزيع إلى حد كبير مع ما توصلت إليه دراسة كولي وكولبرج (Walker & Richards, 1979: 95-102) .

إن توزع أفراد الدراسة يشير بشكل واضح إلى وجود علاقة بين النمو المعرفي للأفراد وتوزعهم على مراحل كولبرج الخلقية ، وهذا ما أيدته أيضا دراسة كولي وكولبرج سابقة الذكر ، وللتأكد من حجم هذه العلاقة ودلالتها فقد تم حساب معامل الارتباط بين علامات الأفراد على مراحل بياجيه وعلاماتهم على مراحل كولبرج الخلقية .

وكان معامل الارتباط هذا مساويا (٧٣٨ر٠) (005 = ∞) وهو معامل ارتباط مرتفع إذا ما قورن بمعاملات الارتباط التي تم التوصل إليها في الدراسات السابقة ؛ حيث كان أعلى معامل ارتباط توصلت إليه هذه الدراسات مساويا (٦٠ر٠) وأدنى معامل ارتباط مساويا (٠٤ر٠) . ففي دراسة كوهان سنة ١٩٧١ كان معامل الارتباط بين مهمات بياجيه ومقياس كولبرج يتراوح ما بين (٠٤ر٠) من (٢٨ر٠) بمتوسط (٢ر٠) . ويرجع كوهان سبب انخفاض معامل الارتباط هذا إلى اتساع المدى العمري للعينة الذي يتراوح من (١٠ ــ ٣٠) سنة .

وتؤيد دراسة واكرريتشردز سابقة الذكر وجود معامل ارتباط موجب بين المستوى المعرفي والمستوى الخلقي يساوي (١٧ر٠) ، ويعزى واكر هذا الانخفاض إلى المدى ، ومحدودية تباين علامات الأفراد على المراحل .

أما في دراسة كيس وتملنسون التي تمت الاشارة إليها فتراوحت معاملات الارتباط بين المستوى المعرفي والمستوى الخلقي من (٥٨ر٠ ــ ٦٠ر٠) . وقد يعزى ارتفاع معامل الارتباط

في هذه الدراسة إلى اسلوب اختبار العينة بحيث تم توزيعهم مسبقا على مراحل بياجيه بشكل محدد من ناحية ، وتوزع الأفراد على مراحل خمس من أصل المراحل الست لكولبرج ، مما أدى إلى اتساع مدى العلامات وبالتالي تباينها .

وللإجابة على السؤال فيما إذا كان هناك فرق بين نسبتي توزع الذكور والإناث ونسب توزعهم على مراحل كولبرج الست ، حسبت قيمة الاحصائي (ز) لدلالة الفرق بين نسب توزع الذكور ونسب توزع الإناث بالنسبة لكل مرحلة من المراحل الست ، وكانت نسب توزع كل من الذكور والإناث على المراحل الست على النحو التالي : المرحلة الأولى (٣٣ر٣٣٪) ذكور ، (١٧ر٢٩) إناث ، المرحلة الثانية : (١٧ر٢٩٪) ذكور ، (٣٣ر٣٣٪) إناث ، المرحلة الثالثة : (٢٥٪) ذكور ، (١٧ر٤٪) إناث ، المرحلة الرابعة (٣٣ر٨٪) ذكور ، إناث (٢٥٪) . المرحلة الخامسة : (١٧ر٤٪) ذكور ، (١٧ر٤٪) إناث ولا أحد في المرحلة السادسة .

أما قيمة الإحصائي (ز) لدلالة الفرق بين نسب توزع الذكور وتوزع الإناث على هذه المراحل فكان على النحو التالي : بالنسبة للمرحلة الأولى (٣٠ر٠) (لا دلالة) . للمرحلة الثانية (٣٠ر٠) (لا دلالة) . وللمرحلة الثالثة (٢ر٠٧) وكان هذا الفرق ذا دلالة عند مستوى (٠٥ر٠) . وعند الرجوع إلى الجدول رقم (٣) تبين أن هذا الفرق كان لصالح الذكور ، وللمرحلة الرابعة (١ر٥٦) (لا دلالة) وللمرحلة الخامسة صفر (لا دلالة) .

واتفقت هذه النتيجة مع نتيجة دراسة وايت وباشنل سنة ١٩٧٨ بعدم وجود فروق ذات دلالة بين توزع الذكور والإناث . كما اتفقت أيضا مع دراسة ميرا فارما (Mira Varma, 1976) عن النمو الخلقي عند الأطفال من الهند . وهذا ما اشارت إليه أيضا دراسات كولبرج سنة ١٩٦٣ من عدم وجود أي فروق دالة بين توزع الذكور والإناث على المراحل الخلقية .

وعند استخدام تحليل التباين للتعرف على أثر عاملي مرحلة النمو المعرفي والجنس على مستوى النمو الخلقي أظهرت النتائج أن هناك فرقاً في النمو الخلقي لصالح الأفراد الأكثر تطورا عقليا ، بينما لم يظهر هذا الفرق بين الذكور والإناث . وتأتي هذه النتيجة مؤيدة للنتائج التي تم التوصل إليها عن طريق استخدام معاملات الإرتباط ، وتأتي كذلك متسقة مع نتائج الدراسات السابقة .

إن هذه النتيجة ونتيجة معاملات الإرتباط تشير بشكل واضح إلى أن النمو الخلقي على علاقة أكيدة بالنمو المعرفي ، وأن العلاقة بينهما علاقة طردية ؛ أي أن مستوى الأحكام الخلقية التي يصدرها الأفراد تصبح أكثر تطوراً كلما أظهر الأفراد تطورا في نموهم المعرفي ومحاكماتهم العقلية للأمور .

وللإجابة على السؤال فيما إذا كان هناك أحد اختبارات بياجيه أفضل من غيرها في التنبؤ

بالمستوى الخلقي للأفراد حسبت معاملات الارتباط بين المهمات المستخدمة في اختبارات بياجيه الستة ومراحل النمو الخلقي ، وقد تراوحت معاملات الارتباط من (٢ر٠ و ٧٣ر٠) وكانت على النحو التالي : اختبار كرات المعجون (الوزن) (٣١ر٠ ، $\alpha \geq$ ١٠ر٠) ، اختبار الفناجين (للعدد) (٧٣ر٠ ، $\alpha \geq$ ٠١ر٠) اختبار كمية اسائل (الاحتفاظ) (٧٣ر٠ ، $\alpha \geq$ ٠١ر٠) ، اختبار الإزاحة (٢٨ر٠ ، $\alpha <$ ١٠ر٠) اختبار البندول(٢٧ر٠ ، $\alpha <$ ١٠ر٠) ، اختبار القضبان (٢٠ر٠ ، $\alpha <$ ١٠ر٠) . وقد اتفقت هذه النتائج إلى حد كبير مع دراسة مشابهة لكيسي ووستون سنة ١٩٧٣ ، حيث تراوحت معاملات الارتباط فيها بين اختبارات بياجية لمرحلة العمليات المادية ومراحل كولبرج من (٠٤ر ، ٦٩ر) وكان معامل الارتباط لاختبار التصنيف (٤٣ر٠) ولاختبار الاحتفاظ (٦٩ر٠) ولاختبار الوزن (٤٠ر٠) ولاختبار الحجم (٤٨ر٠) .

وقد يعود انخفاض معامل الارتباط في الاختبارات الثلاثة الأخيرة ، والذي تراوح بين (٢٠ر٠ ــ ٢٨ر٠) إلى ضيق مدى التباين وقلة عدد الأفراد الذين طبقت عليهم الاختبارات والذي بلغ (١٦) فردا ، في حين كان عدد الأفراد في الاختبارات الثلاثة الأولى (٣٢) فردا .

ولاعتبار النمو الخلقي أحد أهم مظاهر النمو الاجتماعي ونمو الشخصية عند الفرد ، واعتبار التربية الخلقية أحد أهم العناصر التي يجب أن تهتم بها المدرسة والبيت ، واعتماداً على نتائج هذه الدراسة فلا بد من أن يهتم كل من البيت والمدرسة بنمو الأفراد نمواً معرفياً جيداً ، ومنحهم الفرص لهذا النمو ، وتهيئة البيئة العلمية المناسبة ليس فقط لنموهم عقليا ولكن أيضا لنموهم الخلقي الذي يرتبط كما أظهرت النتائج ارتباطا عاليا بنموهم المعرفي ضمن المناهج المدرسية .

ويقترح الباحثان إجراء مزيد من الأبحاث في هذا المجال نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

إجراء دراسة تتبعية لمعرفة طبيعة النمو الخلقي والعوامل المحددة المؤثرة فيه ، وتأثير المستوى الثقافي للآباء على نمو الحكم الخلقي عند الأبناء .

المراجع العربية :

بدران ، أمية **مدى انطباق مراحل الحكم الأخلاقي لكولبرج على طلبة المرحلتين الإعدادية والثانوية في الأردن** ، رسالة ماجستير ، عمان : ١٩٨١ .

توق ، محي الدين « المستوى الاقتصادي والاجتماعي والترتيب الولادي وتأثيرها على النمو الخلقي عند عينة من الأطفال الأردنيين » . الكويت : **مجلة العلوم الاجتماعية** ، العدد الثالث ، السنة الثامنة ، ١٩٨٠ .

عدس ، عبد الرحمن وتوق ، محي الدين **علم النفس العام** ، عمّان : مكتبة الأقصى ، ١٩٨١ .

المراجع الأجنبية :

Baldwin, A.L. **Theories of Child Development.** New York :John Willey and Sons Inc., 1967.

Furth, H. **Piaget for Teachers.** New Jersey: Prentice Hall, 1970.

Ginsburg, H. and Opper S. **Piaget's Theory of Intellectual Development,** New Jersey: Prentice Hall, 1969.

Graham, D. **Moral Learning and Development.** New York: Wielt Sons, 1974.

Hilgard, E. and Atkinson, RL. and Atkinson, R.C. **Introduction to Psychology.** New York: Harcourt Brace Jovanovich Inc., 1975.

Hoffman, M.L. "Moral Development" in Mussen (ed.) **Carmichel's Manual of Child Development.** New York: John Willey and Sons, 1970.

Hyde, M.G. **Piaget and Conceptual Development.** G.B. Hazell Watson, 1964.

Keasey C.B. "Emplicators of Cognitive Development for Moral Reasoning." In D.J. Depalmat and J.M. Foley (eds.) **Moral Development.** Hillsdale, N.J. Erlblum, 1975.

Keasey, C.B. "Experimentally induced changes in moral opinions and reasoning". **J.of personality and social psychology,** (1973), 26, 30-38.

Kohlberg, L. and. Kramer, R. "Continuites and Discontinuited in Childhood and adult Moral Development". **Human Development.** (1969), 12,93-120.

Kohlberg, L. "The Development of Children's Orientations Toward a Moral Order, I. Sequence in the Development of Moral Thought". **Vita Human,** 1963.

Kuhn, D. Et. Al. "The development of formal operations in logical and moral judgment". **Genetic Psychology Monographs,** (1977), 95, 97-188..

Lee, L.C.. "The concomitant development of cognitive and moral modes of thought : A test of selected deductions from Diaget's Theory". **Genetic Psychology Monographs,** (1971), 83, 93-146.

Sund, R. **Piaget for Educators.** Columbus Ohio Bell and Hawell Comp., 1976.

Tomlinson-Keasey, C. and Keasey, C.B. "The Mediating role of Cognitive Development in Moral Judgement **"Child Development,** (1974), 45, 291-298.

Turiel, E. "An experimental test of the sequentiality of developmental stages in the child's moral Judgements". **J. Of Personality and Social Psychology,** (1966), 3, 611-618.

Varma, M.. **Moral Development in Children,** India : Allahabad, 1976.

Walker, L. and Richards, B. "Stimulating Transitions in Moral Reasoning as a Function of Stage Cognitive Development". **Developmental Psychology.** Vol. 15 N2 March (1979) 95-103.

White C., Bushnell N. and J.Regenemer "Moral Development in Bohamian School Children a 3-Year Examination of Kohlbere's Stages of Moral Development". **Developmental Psychology.** Vol. 14, January (1978), 58-65, NI.

White Hurst, G. and Vasta, R. **Child Behavior.** Boston: Houghton Mifflin Co., 1977.

Williams, N. and Williams, S. **The Moral Development of Children.** London: MaCmillan, 1972.

Wright, D. **The Psychology of Moral Behavior.** Middlesex, England : Pengwin Books, 1971.